تستطيع اسرائيل ان «تطبخ» في ذرّتها... ولذلك اقتضى اغتيال الرجل.

واذا لم يتمكن أبو جهاد ـ رحمه الله ـ من تنفيذ ذلك، فرسالته واضحة. وفشل محاولة ما لا يعني الامتناع عن محاولة تكرارها.

*
* *

لم تكن عملية اغتيال «أبو جهاد» مجرد صدفة، أو خطأ، بل انها نفذت بناء على قرار اتخذ على أعلى المستويات في اسرائيل، ومن قبل الحكومة الاسرائيلية نفسها، دون غيرها. ولا حاجة الى جهد كبير لمعرفة من كان وراء هذا القرار. فالثرثرة الاسرائيلية، العلنية وغير العلنية، حتى بالنسبة الى هذه الامور، مستشرية؛ وهي، وان لم تكن أكثر من ثرثرة الفلسطينيين عند التحدث عن «الامن» و«النضال»، فانها، في أي حال، لا تقل عنها. والجلي للعيان هو ان شخصاً يدعى يتسحاق رابين، يشغل منصب ما يسمى وزير الدفاع في اسرائيل هو الذي دفع الى اتخاذ هذا القرار، الذي قدمه، أساساً، رئيس الموساد. وفي موقفه هذا، حظي رابين بتأييد يتسحاق الآخر، شامير، رئيس ما يعرف باسم حكومة اسرائيل، وذلك في أحد المواقف المتوافقة بين الرجلين، التي لا تتكرر كثيراً. أما الآخرون من شلة تلك الحكومة، فقد «باركوا» الخطوة، عدا ـ كما يقال ـ عيزر وايزمان، الذي حذّر من نتائجها. غير انه على الرغم من هذا التحذير، كان التأييد كبيراً والحماس عارماً لاتخاذ ذلك القرار، والايعاز ببدء العمل على تنفيذه.

وهذه السوبر ـ جرأة الصهيونية في التطاول على زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية، أياً كانت مواقعهم أو مراكزهم، دون خوف أو وجل من ردة الفعل، ودون رادع، ليست غريبة، بل ـ الاكثر من ذلك ـ لها ما يبررها صهيونياً. ويصح في هذا الوضع القول المأثور على لسان ذلك الذي سأل أحدهم: «يا فرعون شو فرعنك ؟»، فأجاب: «من قلة أحد يردني».

ولقد «فرعن» الصهيونيون فعلاً، واعتادوا ـ للأسف ـ على «لط» المقاومة الفلسطينية وضربها ورفسها وركلها والتنكيل بها، مرة بعد أخرى، وخلال سنين عديدة، دون أن يجابهوا، الا فيما ندر، بردود فعل رادعة، ولذلك «تأصلت» تلك العادات لديهم واصبحت «تقاليد»، لها حتى «اسبقيات» تدعمها. فعلى سبيل المثال، حتى الطريقة التي نفذت بموجبها عملية اغتيال الشهيد «أبو جهاد» تكاد تكون نسخة طبق الاصل عن عملية فردان، التي كانت وقعت قبل عملية تونس بـ ١٥ (بالكلمات: خمس عشرة) سنة وأسبوع واحد، في ١٠/٤/١٩٧٣ (واليوم عينه، هو، أيضاً، ذكرى مجزرة دير ياسين الشهيرة، التي كان ليتسحاق شامير، المذكور آنفاً، دور مهم فيها). وكما هو معروف، ذهب ضحية عملية فردان شهيدان من اعضاء اللجنة المركزية لـ «فتح»، هما كمال عدوان ومحمد (أبو يوسف) النجار، اضافة الى عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، الشهيد كما ناصر (وعلى سبيل التذكير، كان الضابط الاسرائيلي الذي قاد عملية فردان قد قتل في احدى العمليات الابو ـ جهادية، التي نفذت سنة ١٩٧٥، وعرفت باسم عملية سافوي).

وقبل عملية فردان، وبعدها، وخلال فترات امتدت طويلاً، نفذت عمليات اغتيال عديدة لمناضلين فلسطينيين، أو عرب، يتعاونون مع الثورة الفلسطينية في أكثر من بلد في انحاء العالم كافة.